٣٣

دراسات

جمادى الأولى ١٤٣٩هـ
فبراير ٢٠١٨م

إدارة الأقليات المسلمة في روسيا

أليرا أحمدوفا

إدارة الأقليات المسلمة في روسيا

ألميرا أحمدوفا

ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٤٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

أحمدوفا ، ألميرا
إدارة الأقليات المسلمة في روسيا. / ألميرا أحمدوفا. – الرياض، ١٤٤٠ هـ

٣٦ ص، ١٦,٥x٢٣سم (دراسات؛ ٣٣)

ردمك: ٣_٨٤_٨٢٠٦_٦٠٣_٩٧٨

١- المسلمون في روسيا أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي ٩٤٧,٩ ١٤٤٠/٥٨٩

رقم الإيداع: ١٤٤٠/٥٨٩
ردمك: ٣_٨٤_٨٢٠٦_٦٠٣_٩٧٨

تحرير ومراجعة
معن نعناع

تصميم وإخراج
محمد يوسف شريف

إخلاء مسؤولية

تعكس هذه الدراسة ومحتوياتها تحليلات الكاتب وآراءه، ولا ينبغي أن تُنسب وجهات النظر والآراء الواردة فيها إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، والكاتب وحده هو المسؤول عما يرد فيها من استنتاجات أو إحصاءات أو أخطاء.

المحتويات

الملخص	٦
المقدمة	٧
نبذة تاريخية	٨
• انتشار الإسلام في روسيا	٨
• المسلمون تحت ظل روسيا القيصرية	١٢
• العلاقات بين المملكة العربية السعودية والاتحاد السوفييتي	١٦
حالة الإسلام والمسلمين في روسيا الحديثة	٢١
• لمحة عامة عن المسلمين في روسيا المعاصرة	٢١
• رفاهية المسلمين في روسيا الاتحادية	٢٦
المسلمون والعلاقات السعودية - الروسية	٢٣
الخلاصة والتوصيات المتعلقة بصنع السياسات	٢٩

الملخص

تتناول هذه الورقة البحثية العلاقات بين المملكة العربية السعودية وروسيا الاتحادية في ضوء حقوق الأقلية المسلمة، من خلال تحليل تاريخ الإسلام في الأراضي الروسية، مع تسليط الضوء على حقوق المسلمين أثناء وجود الاتحاد السوفييتي والحكم القيصري منذ عام ١٥٥٢م. ويشير الجزء الأول من هذا البحث إلى أنه على الرغم من وجود المسلمين بوصفهم أقلية في روسيا الحديثة إلا أنه تم تنصيب الإسلام ديناً رسمياً في إقليم الفولغا والأورال والقوقاز خلال السنوات الأولى من ظهور الإسلام. كما يُظهر البحث أن العلاقات التاريخية بين المسلمين وروسيا القيصرية لم تكن دائماً في محل صراع. ويعرض الجزء الثاني المستند إلى وثائق روسية أرشيفية وصفاً موجزاً للعلاقات الدبلوماسية السعودية – السوفييتية. أما الجزء الثالث فيناقش وضع الإسلام والمسلمين في روسيا الحديثة منذ انهيار الاتحاد السوفييتي، مع الإشارة إلى كارثة ١١ سبتمبر والحملة العالمية للحرب على الإرهاب بقيادة الولايات المتحدة، وعواقبها التي أسفرت عن ظهور تمييز ديني وموجة من العداء تجاه الإسلام في جميع أنحاء الدولة، وفي عام ٢٠٠٢م اعتمدت روسيا الاتحادية قانوناً جديداً أُطلق عليه «قانون مكافحة الأنشطة المتطرفة «الذي أدى إلى تقليص الحرية الدينية التي أضرت بشكل مباشر بالعلاقات بين المملكة العربية السعودية وروسيا، فقد مُنِعت التبرعات الواردة من المملكة من خلال قنوات مختلفة، ومُنِعت المؤسسات الممولة من المملكة بوصف ذلك جزءاً من الوقاية من التأثيرات «الوهابية»[١]، التي كانت محظورة في روسيا منذ عام ٢٠٠٢م، كما مُنِعت الكتب المنشورة في المملكة بنسختيها الأصلية والمترجمة. واستمرت الحكومتان في الوقت نفسه بالعمل معاً على مكافحة التطرف، وتقديم البرامج الثقافية والتربوية، وتطوير الأعمال المصرفية الإسلامية في روسيا. ويتضمن الجزء الأخير من الورقة الملاحظات الختامية وبعضاً من التوصيات المتعلقة بصنع السياسات.

(١) في روسيا، تُوصف كل الأفكار والأعمال المتشددة للمسلمين بـ "الوهابية".

المقدمة

إن روسيا الاتحادية التي خرجت من أنقاض الاتحاد السوفييتي بوصفها قوة دولية مؤثرة في غضون عقدين من الزمان؛ قد جذبت اهتمام الباحثين للنظر فيما يتعلق بحقوق الأقلية المسلمة في روسيا، وذلك لأسباب عدة:

أولاً، وفقاً للإحصائيات الصادرة في عام ٢٠١٠م، يوجد في روسيا الاتحادية أكبر عدد من الأقليات الإسلامية في أوروبا، حيث إن العدد الإجمالي للعرقيات المسلمة من السكان الأصليين في روسيا يقدر بـ ١٥ مليون شخص[٢]. كما أن هناك أعداداً كبيرة من العمالة المهاجرة من آسيا الوسطى والتي تشكل نسبة كبيرة من المهاجرين المسجلين رسمياً البالغ عددهم ١٠ ملايين ومعظمهم من دول آسيا الوسطى مثل: قرغيزستان وأوزباكستان وطاجيكستان[٣]. ويُعتقد أن ذوي الأصول الروسية يبلغ عددهم قرابة ١٠٠ ألف شخص فقط[٤]. ويشير مؤشر التنوع الديني (RDI) التابع لمركز بيو للأبحاث أن عدد المسلمين في روسيا في عام ٢٠١٤ يشكل ما نسبته ١٠٪ من إجمالي السكان[٥].

ثانياً، لا يجب اعتبار الإسلام في روسيا ديناً للمهاجرين في فترة ما بعد الاستعمار أو دليلاً على مظاهر العولمة والتبادل الثقافي. إن المسلمين في روسيا بخلاف الأقليات المسلمة الأخرى في أوروبا لا يعدون مهاجرين أجانب، بل هم مواطنون للدولة عاشوا في وطنهم الأم لعدة قرون، وانتشر الإسلام ونصّب نفسه ديناً رسمياً في الأراضي الروسية الحديثة من بداية ظهوره، وقد قام أسلاف مسلمي روسيا ببناء حضارات إسلامية عظيمة في الأراضي الروسية الحالية قبل ظهور الإمبراطورية الروسية بوقت طويل.

نقطة أخرى جديرة بالذكر هي أن تاريخ المواجهات الروسية مع المسلمين ليست سوى صدام وغزو ومقاومة، وقد تميزت العلاقات بين المسلمين والروس – سواء داخل روسيا أو بين روسيا والدول الإسلامية الأخرى – بفترات من التسامح والتعايش والاستقرار

---

(٢) لا يوجد سجل رسمي لأعداد المسلمين في روسيا، حيث لم يدرج التعداد السكني في العام ٢٠١٠م الأصول الدينية.

(٣) (أعداد المهاجرين في روسيا) http://topmigrant.ru/migraciya/obshhaya-informaciya/migranty-v-rossii.html.

(٤) مايو ٢٠١٧م http://voprosik.net/russkie-musulmane-segodnya.

(٥) "درجات التنوع الديني" مركز بيو للأبحاث، أبريل ٢٠١٤م
http://www.pewforum.org/2014/04/04/religious-diversity-index-scores-by-country/

فضلاً عن التعاون التام. على سبيل المثال: تعد فترة حكم كاثرين العظيمة (١٧٦٢-١٧٩٦م) مثالاً جيداً على الاستقرار والتعاون المتبادل.

وأخيراً, لا يجب تجاهل حجم روسيا الكبير في سياسات الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، فكما يدّعي السياسيون الروس تعد روسيا إلى حد ما جزءاً من العالم الإسلامي. وفي حديثه أمام برلمان جمهورية الشيشان في الثاني عشر من ديسمبر من العام ٢٠٠٥م، ذكر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أن روسيا كانت دائماً من المدافعين المخلصين عن مصالح العالم الإسلامي ولطالما أصبحت أفضل شريك وحليف للمسلمين(٦).

إن الاهتمام الروسي في سياسات الشرق الأوسط يتجلى بشكل أساس في المنظمات الإسلامية الروسية والتي تسمى بمجالس الإفتاء بوصفها مبادرة لمسلمي روسيا، وعلى ضوء ذلك فإن إجراء تقييم شامل لحقوق الأقليات المسلمة ووضع الإسلام في روسيا يعد أمراً مهماً؛ لفهم أوسع للعلاقات السعودية - الروسية. وينظر هذا البحث إلى العلاقات بين المملكة العربية السعودية وروسيا الاتحادية في ضوء حقوق الأقليات المسلمة في روسيا.

نبذة تاريخية

• انتشار الإسلام في روسيا

من الصعب أن نحدد الزمن الدقيق لظهور الإسلام في روسيا، حيث إن الأراضي التي وصل إليها المسلمون أثناء توسعهم لم تكن جزءاً من روسيا في ذلك الوقت، ولكن تم ضمها إلى الإمبراطورية الروسية بعد قرون عدة، فالإسلام دخل أولاً الأراضي الروسية الحديثة عن طريق داغستان في منتصف القرن السابع الميلادي، ومن هناك بدأ ينتشر في كامل شمال القوقاز، وكان ذلك في عهد الخلفية الثاني "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه عندما وصل الجيش المسلم بقيادة عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي إلى جنوب القوقاز في العام ٢١هـ (٦٤١م). وفي العام ٦٥٤م استولى المسلمون على مدينة دربنت

(٦) فلاديمير بوتين، "خطاب أمام الدورة الأولى لبرلمان جمهورية الشيشان"، مقتبس من ألميرا أحمدوفا، "الإسلام في روسيا: حقائق تاريخية وتطورات حديثة"، كوالالمبور، ماليزيا: منشورات معهد آي إيه إس، ٢٠١٣م، ٣٦.

(تقع حالياً في داغستان) والتي أصبحت فيما بعد مركزاً لانتشار الإسلام في شمال شرق القوقاز والتي يشار إليها باسم باب الجهاد [٧]. وفي العام ٧٣٧م حقق جيش المسلمين تحت قيادة مروان بن محمد - الذي أصبح لاحقاً آخر خلفاء الأمويين (٧٤٤-٧٥٠م) - انتصاراً كبيراً على أقوى قوة عسكرية في المنطقة وهي مملكة الخزر التي كانت موجودة في الفترة ما بين (٦٥٢ – ١٠١٦م). وكانت مملكة الخزر في قمة توهجها قد سيطرت على أجزاء كبيرة من جنوب روسيا وغرب كازاخستان وشرق أوكرانيا وأذربيجان وأجزاء كبيرة من القوقاز (وتشمل الشركس، وداغستان، والشيشان، ، وأجزاء من جورجيا وشبه جزيرة القرم). ومع نجاح مروان الثاني في شمال القوقاز الذي كان في السابق تابعاً لمملكة الخزر، والمناطق السفلى لنهر الفولغا؛ أصبح جميعها ضمن الإمبراطورية الأموية.

وقد حول المسلمون المنطقة إلى مركز إداري مهم للعالم الإسلامي، حيث ساهم التجار من بخارى في انتشار الإسلام في المملكة، ووفقاً لجيلينا يميلنوفا الزميلة الباحثة في مركز الدراسات الروسية وشرق أوروبا في جامعة بيرمنغهام فإنه في بدايات أواخر القرن الثامن الميلادي كان هناك مسجد مركزي في العاصمة اتيل ، بالإضافة إلى ٣٠ مسجداً موزعاً في مختلف المناطق[٨].

وفي الجانب الآخر من روسيا الحديثة وفي المناطق العليا لنهر الفولغا بدأ الإسلام بالانتشار من خلال العلاقات التجارية والتعايش السلمي مع المسلمين[٩]. وأصبحت مملكة البلغار أول دولة إسلامية في أراضي روسيا الحديثة القابعة في منطقة فولغا الوسطى، والتي كانت موجودة ضمن جمهورية تتارستان من القرن الثامن الميلادي حتى غزوها من المغول في العام ١٢٣٦م. ولا يوجد دليل واضح على التاريخ الحقيقي لاعتناق سكان مملكة البلغار الإسلام، وذكر شهاب الدين مرجاني مؤرخ وفيلسوف التتار المشهور في القرن التاسع عشر؛ أن مدينة البلغار كانت ثالث أكثر مدينة متقدمة

---

(٧) جيلينا يميلنوفا، "الإسلام في روسيا: رؤية تاريخية"، والإسلام في روسيا ما بعد السوفييتية: المظاهر العامة والخاصة، هيلاي بلكنقتون وجيلينا يميلنوفا، نيويورك: روتلدج كيرزون، ٢٠٠٣م، ٢٨.

(٨) المرجع السابق.

(٩) قال المستشرقان الروسيان فلاديمير جوردلفسكي (١٨٧٦–١٩٥٦م) وإيغور كوفالفسكي (١٨١١-١٨٦٨م): إن تجار آسيا الوسطى لعبوا الدور الرئيس في أسلمة الفولغا بالبلغار.انظر: المرجع السابق، ١٩.

في أوروبا بعد روما والقسطنطينية، ودخلها الإسلام مباشرة بعد دخوله الأندلس أو أثناء ذلك[١٠]. وهناك أدلة على أن الإسلام تم الاعتراف به طواعية ديناً رسمياً لمملكة البلغار في العام ٩٢٢م وسط حضور وفد رسمي أرسله الخليفة العباسي المقتدر (٩٠٨ – ٩٣٢م). وقد أرسل ألمش **يلطوار** شلكي بن حاكم البلغار في الفترة ما بين (٨٩٥ – ٩٢٥م) خطاباً إلى المقتدر يطلب فيه إرسال علماء مسلمين لتعليم الدين والشريعة الإسلامية، كما طلب إرسال مهندسين ماهرين في بناء المساجد والحصون، وقبل الخليفة هذه الطلبات وأرسل العلماء ومهندسي البناء، وفي شهر صفر من العام ٣٠٩هـ (٩٢١م) انطلق وفد من بغداد إلى مملكة البلغار، وتبعاً لذلك أعلن ملك البلغار الإسلام الدين الرسمي للمملكة وغير اسمه إلى جعفر بن عبد الله، ولم تنتهِ العلاقة بين الخليفة العباسي ومملكة البلغار عند هذا الوفد، فبعد بضع سنوات وصل وفد بلغاري آخر مع ابن الملك إلى مكة من أجل قضاء مناسك الحج. وذكر المؤرخ والجغرافي العربي المسعودي في أطروحته حول تاريخ العالم أن الوفد البلغاري زار بغداد وقدم الهدايا إلى الخليفة، كما ذكر أن ملك البلغار كان مسلماً اعتنق الإسلام في العام ٣١٠هـ (٩٢٢م).

وبعد مدة قصيرة، أنشأت مملكة البلغار مركزاً مهماً للحضارة الإسلامية مع توطيد علاقات وثيقة لبقية العالم الإسلامي خصوصاً في آسيا الوسطى وخراسان[١١]. وازدهر الإسلام في المملكة تحت رعاية العائلة الحاكمة، فقد لعب البلغار دوراً مهماً في انتشار الإسلام في مناطق متفرقة من الأراضي الروسية الحالية. وفي العام ٩٨٥م، أرسل ملك البلغار بعض العلماء المسلمين إلى أمير روسيا «الكييفية» الأمير فلاديمير العظيم يدعوه للإسلام، ولكن حينما علم فلاديمير أن الكحول محظورة في الإسلام، رفض قبول الدين واعتنق بدلاً منه المسيحية الأرثوذكسية في العام ٩٨٨م. كما أدخل البلغار دين الإسلام إلى باشقورط في منطقة جبال الأورال. وذكر الجغرافي المسلم ياقوت الحموي أنه التقى ذات مرة بمسلم من باشقورد في حلب وقال للحموي: إن مملكة البلغار قد نشرت الإسلام بين باشقورطيون.

---

(١٠) شهاب الدين مرجاني، المستفاد من أحوال القازان والبلغار، ١٩٨٩م، ٥١.

(١١) شيرين هنتر، "الإسلام في روسيا: سياسات الهوية والأمن"، نيويورك: ٢٠٠٤م.

وجرت المرحلة الثانية من نشر الإسلام في روسيا خلال فترة القبيلة الذهبية أو ما يعرف بمغول الشمال، وهي منطقة تقع في غرب إمبراطورية جنكيز خان العظمى والتي تأسست في العام ١٢٤٢م نتيجة للغزو المغولي لمملكة البلغار والمناطق المجاورة لها. ففي العام ١٢٦١م اعتنق بيرك خان الإسلام، وبمدة وجيزة خلال حكم الأوزبكي خان (١٣١٢ – ١٣٤٢م) أصبح الإسلام الدين الرسمي للدولة، ومنذ منتصف القرن الرابع عشر وحتى زوالهم في العام ١٤٣٧م، سيطرت نخبة من البلغار على الخطاب الإسلامي والثقافة الإسلامية للإمبراطورية.

وفي بداية القرن الخامس عشر ظهر عدد من الخانيات الإسلامية المستقلة في القبيلة الذهبية العملاقة، بما فيها خانية قازان في التتار، وشبه جزيرة القرم، وسيبيريا، ونوغاي، وخانيات. وتوزعت هذه الخانيات في معظم مناطق روسيا الحديثة تقريباً، باستثناء المنطقة الواقعة بين مدينتي موسكو وكييف حيث عاش معظم الروس الأوائل في عدد من الأقاليم. وحتى في هزيمة هذه الخانيات في القرن السادس عشر الميلادي من قبل دولة موسكو اليافعة والحيوية، والتي كانت مهداً لنمو الإمبراطورية الروسية القيصرية؛ فإن الإسلام كان هو الدين السائد في معظم أجزاء روسيا الحديثة. ونظراً لمكانة منطقة الفولغا وأهميتها في مجال النقل فقد أصبحت منطقة نهر الفولغا وجبال الأورال أول منطقة تقع تحت الحكم الروسي القوي والجديد آنذاك، ففي الخامس عشر من أكتوبر في العام ١٥٥٢م أصبح الطريق للروس ممهداً لاحتلال منطقة الفولغا بأكملها وبحر قزوين، بعد غزو خانية قازان التي كانت أقوى دولة في المنطقة سابقاً. وفي حلول أواخر القرن السادس عشر الميلادي ضمت الدولة الروسية خانيات أستراخان ونوغاي وسيبيريا، باستثناء خانية القرم التي لم يتم غزوها إلا في العام ١٧٨٣م في عهد كاثرين الأكبر. وفي العام ١٨٥٩م فقد مسلمو داغستان (الشيشان وإنغوشيا كانوا جزءاً منها) مناطقهم لصالح روسيا القيصرية بعد ٣٤ عاماً من المقاومة تحت حكم الإمام شامل الداغستاني (١٧٩٧ - ١٨٧١م)[١٢].

(١٢) عن المقاومة القوقازية تحت حكم الإمام شامل،انظر: إلى أناتو ليفين، "الشيشان مهد القوة الروسية"، منشورات جامعة ييل، ١٩٩٨م، ٣٠٤ – ٣١٨. وليزلي بلانش، "سيوف الجنة: الغزوات والانتقام في القوقاز"،لندن، توريس بارك، ١٩٦٠م.

• المسلمون تحت ظل روسيا القيصرية

تم ضم الأراضي الإسلامية إلى دولة موسكو التي غزتها في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين بواسطة إيفان الرهيب أمير موسكو (١٥٣٣ – ١٥٨٤م) أول قيصر من سلالة رومانوف ومن سلالة الإمبراطورية الروسية الثانية والأخيرة، التي حكمت البلاد من ١٦١٣ إلى ١٩١٧م. وكانت الدولة ذات توجه روسي بحت وغير مبالية بالخلافات التي تقع بين الروسيين والجنسيات الأخرى. وقد تم دمج الأقاليم المسلمة في دولة موسكو، وتم التعامل مع المواطنين المسلمين بوصفهم مواطنين روسيين تم حرمانهم من الحقوق المخصصة للمسيحيين[١٣]. وكان قمع الإسلام آنذاك بواسطة التنصير والترويس القسري مسألة مهمة لسياسة موسكو الخاصة بدمج الأراضي غير الروسية داخل دولة روسية مركزية[١٤].

منذ سقوط خانية قازان في العام ١٥٥٢م وحتى عهد كاثرين الأكبر (١٧٦٢ – ١٧٩٦م)، استخدمت الحكومة القيصرية سياسة القمع المنظم للمسلمين وتدمير الحضارة الإسلامية داخل حدود روسيا. وفي الوقت الذي بدأت فيه روسيا بتوسعها في الأراضي الإسلامية خلال عهد إيفان الرهيب؛ ظهرت فكرة تأسيس دولة روسيا. وكان أهم وأعمق جانب لمفهوم قيام دولة روسيا هو التراث البيزنطي الذي تأسس على مبدأ الاندماج بين الدولة والدين. وهذا المفهوم وفقاً للسياق الروسي قد تم تحويره ليشمل الدين والعرق والجنسية، ومن ثم فإن كونك روسياً يعني أن تكون مسيحياً أرثوذكسياً وسلافاً عرقياً[١٥]. وقد تغير الحال مع غزو روسيا ودمجها للأراضي الإسلامية، وهي عملية ساهمت في تفكك الوحدة العرقية الدينية للدولة. وبما أن الحل الإسباني ليس خياراً مثالياً (والذي يقضي بطرد المسلمين بأكملهم) فإن البديل التالي من وجهة نظر مسيحية أرثوذكسية محافِظة هو تدمير النخب والقيادات الحاكمة المسلمة من خلال مصادرة معظم أراضي المسلمين الخصبة وإعادة توزيعها بين النبلاء الروس والأديرة الأرثوذكسي. ونتيجة لذلك فقد أصبح المسلمون أقليات في أراضي أسلافهم في منطقة نهر الفولغا وجبال الأورال وشبه جزيرة القرم وبعض أجزاء شمال القوقاز.

---

(١٣) ألكسندر بينيغسين وأندرز ويمبوش، دليل مسلمو الإمبراطورية السوفييتية، لندن: هورست، ١٩٨٦م، ٨.

(١٤) هيلاري بلكنقتون، "مقدمة"، في: "الإسلام في روسيا ما بعد السوفييتية"، بلكنقتون ويليمنوفا.

(١٥) هنتر، "الإسلام في روسيا"، ٧.

وأملاً في منع أي تطور إضافي للحضارة الإسلامية في الدولة الروسية التي تتوسع بشكل سريع؛ تم تدمير الأرشيفات والمكتبات والكتب والمخطوطات الإسلامية للدولة بالكامل، وأزيلت شواهد القبور من مقابر التتار المسلمين واستخدمت أساساً لبناء الأديرة والكنائس. كما تم طرد المسلمين من جميع المدن المهمة ومن الأراضي المثالية على امتداد الأنهار. فعلى سبيل المثال: نُهبت قازان وأُشعلت النيران فيها بعد الاستيلاء عليها. وبحسب المؤرخ الروسي ميخائيل خودياكوف ذُبح جميع السكان الذكور باستثناء الحاكم الأخير ياديجار، ووُزعت النساء والأطفال بين الجنود الروس المنتصرين بناء على أوامر إيفان الرهيب[١٦]. وكذلك وُزعت المنازل والأراضي والممتلكات الأخرى الخاصة بالمسلمين بين الروس، وطُرد الذين نجوا بطريقة أو بأخرى من المجزرة المنظمة خارج المدينة، وأُصدر مرسوم يحظر على المسلمين الاستقرار داخل مساحة ٣٠ ميلاً في قازان.

وفي العام ١٥٩٣م، وفي سياسة مستمرة لقرون عدة، أمر فيودور إيفانوفيتش (١٥٨٤ – ١٥٩٨م) آخر قيصر روسي من سلالة روريك وابن القيصر إيفان الرهيب؛ بتدمير كل المساجد والمدارس الدينية في الأراضي المستعمرة. وفي التاسع عشر من نوفمبر من العام ١٧٤٢م أصدرت الإمبراطورة إليزابيث (١٧٤١ – ١٧٦٢م) مرسوماً ملكياً آخر بتدمير جميع المساجد في روسيا.. وفي غضون سبع سنوات فقط من العام ١٧٣٨ إلى ١٧٤٥م هُدم ٤١٨ مسجداً من أصل ٥٣٦ في قازان وحدها. وكذلك في سيبيريا دُمر ٩٨ مسجداً من أصل ١٣٣. وفي أستراخان هُدم ٢٥ مسجداً من أصل ٤٠، كما صُودرت الأوقاف الخيرية للمسلمين. وفي العام ١٧٤٠م أُسس مكتب التعميد الحديث في قازان تحت إدارة الأسقف لوكاس كوناشيفيتش لتعميد جميع المسلمين وبالقوة إن لزم الأمر.. وقد أعفى المرسوم الإمبراطوري الذين غيروا ديانتهم من الضرائب، بينما تمت مضاعفتها للذين أصروا على البقاء مسلمين.

أدى هذا الجو العدواني إلى انتفاضات وثورات منتظمة بين مسلمي الإمبراطورية، وقد بلغت ذروتها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في ثورة بوغاتشيف، وهي

(١٦) ميخائيل خوديكوف، "مقالات عن تاريخ خانيات قازان"، موسكو: ١٩٩١، ١٥٤.

أكبر ثورة للفلاحين في التاريخ الروسي. ويقدر بأن حوالي ٩٠ ألف مسلم شاركوا في هذا التمرد. واستجابة لذلك تبنت الإمبراطورة كاثرين سياسية ليبرالية نتج عنها عدد من الإصلاحات المهمة.، فقد أمرت في العام ١٧٧٣م المجمع المقدس بإصدار مرسوم عن تسامح الأديان والذي جاء في نصه: "أن الله يتسامح مع جميع الأديان على كوكب الأرض، كما أن جلالتها ستسمح بجميع الأديان وترغب في تعايشهم بانسجام". كما شدد المرسوم على منع الأساقفة والقساوسة من تدمير المساجد وإلزامهم بعدم التدخل في المسائل الإسلامية أو في بناء دور العبادة الخاصة بهم.. ونتيجة لهذا المرسوم، أصبح المسلمون وللمرة الأولى في تاريخهم يحظون بكامل الحرية في اعتناق دينهم بشكل علني وتم إنهاء جميع أنواع الاضطهاد المبني على المعتقدات الدينية.

وتبنت كاثرين سياسة لتوحيد رجال الدين المسلمين والاستفادة منهم من أجل أن يكونوا قادرين على السيطرة على المسلمين واحتوائهم بالوسائل البيروقراطية، وفي العام ١٧٨٩م تم إنشاء أول مؤسسة إسلامية وهي: الجمعية المحمدية الروحية لأوفا، وتقع في مدينة أوفا. وتطور هذا النظام لاحقاً إلى مناطق أخرى بينما تستمر روسيا في غزو الأراضي التي يسكنها المسلمون. وفي الغالب يكون تعيين المفتين عن طريق مرسوم صادر من القيصر، ويتم اختياره من ضمن الأشخاص المقربين للحكومة والمتوافقين سياسياً معها والمخلصين للنظام السياسي. وكان المفتون يخضعون لوزير الداخلية ويلبون أوامره. ولقرون عدة خدم معهد المفتين والأئمة الصادر بمرسوم قيصري الدولة، بوصفه وسيلة للتأثير على سكان التتار بالطريقة المرغوبة من قبل القياصرة الروس[١٧]. وحتى هذا اليوم يعد شكلاً تنظيمياً أساسياً لإدارة الاحتياجات الدينية الإسلامية.

كما هيأت كاثرين الظروف الملائمة للتطور الاقتصادي والثقافي للسكان التتار في الفولغا، ووصفتها بـ «الناشرين المحتملين لمصالح روسيا والقوة الحضارية بين المناطق الإسلامية الأقل تطوراً ثقافياً داخل حدود الإمبراطورية الروسية وخارجها»[١٨]. فمن العام ١٧٨٤م وصاعداً تم السماح لبعض النبلاء التتار بالمتاجرة وإنشاء الأعمال في مجال الصناعات

(١٧) أرشوراني وجابيدولين، "مقالات حول القومية التركية والتيار الإسلامي في روسيا"، مقتبس من بخاريف، "الإسلام في روسيا"، ٣١٥.

(١٨) يميلنوفا، "الإسلام في روسيا".

الخفيفة مثل: المنسوجات والجلود.. وأصبح تجار التتار الوكلاء الرئيسين في التجارة بين روسيا ودول الجوار المسلمة مثل: كازاخستان وآسيا الوسطى وإيران وأفغانستان وغرب الصين، حيث لم يكن التجار غير المسلمين مرحباً بهم في هذه البلدان. ونتيجة لهذه الإصلاحات انطلق نظام جديد يسعى لإدماج المجتمع المسلم في داخل الهيكل الحكومي.

ومع الرفع الجزئي للقيود المفروضة على التجارة الإسلامية وأصحاب الأعمال، ازدهرت الحياة الثقافية لدى المسلمين من عوائد التصنيع والتجارة الدولية، حيث بُنيت مساجد جديدة وافتُتحت مدارس دينية في المدن كبرى مثل: قازان وأوفا وأورنبرغ. وفي العام ١٨٤٤م كان في قازان وحدها أربع مدارس. كما ازدادت أعداد المدارس في القرى أيضاً. وفي العام ١٧٨٧م وبناء على الأوامر الإمبراطورية تم نشر القرآن لأول مرة باللغة العربية بواسطة مطبعة أكاديمية العلوم في سانت بطرسبرغ والذي يعد إنجازاً بارزاً في تاريخ النشر القرآني في روسيا، وتم توزيعه بحرية بين مسلمي روسيا. وفي العام ١٨٠١-١٨٠٢م تم تسليم النص الكتابي العربي من سانت بطرسبرغ إلى قازان؛ حيث تم افتتاح أول مطبعة إسلامية من قبل بورشيف، ومن ثم أصبحت ثقافة نشر الكتب عرفاً لدى التتار في قازان [١٩].

ومنذ خمسينيات القرن التاسع عشر الميلادي، أصبحت طرق الاضطهاد الديني أمراً أساساً في المعاملة القيصرية للمواطنين المسلمين، وتم فرض الأرثوذكسية الروسية مرة أخرى على المسلمين، كما اقتحمت القوات الروسية القرى المسلمة مع المبشرين المسيحين. ولكن في آسيا الوسطى والقوقاز اتبعت روسيا استراتيجية استعمارية مختلفة، كان الهدف الرئيس منها فرض السيطرة السياسية بدون تغيير الهيكل الإداري المحلي واستغلال الأراضي المحتلة من الناحية الاقتصادية، ومع ذلك وبالمقارنة مع التتار في منطقة الفولغا أتاحت روسيا للمواطنين الحرية الدينية والثقافية.

وعلى الرغم من كل المحاولات الإمبراطورية لانتزاع الإسلام والثقافة الإسلامية؛ إلا أن الإسلام صمد في القرى. وشهد في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي تحركات صحويّة وفكرية واسعة النطاق بين التتار في منطقة الفولغا سُميت بـ "التجديد"، وبلغت

(١٩) بخاريف، "الإسلام في روسيا"، ٣١٠.

ذروتها بعد الثروة الروسية في العام ١٩٠٥م. وأتاح الانفتاح السياسي في أعقاب الثورة المجال للمسلمين بالانخراط في الأنشطة السياسية لأول مرة في تاريخهم تحت الحكم الروسي، وعقدت جميع المؤتمرات الإسلامية في روسيا بين ١٩٠٥ – ١٩١٧م في عدد من المدن الروسية، كما تم تأسيس حزب "اتفاق المسلمين" الذي يمثل طائفة المسلمين في دوما بروسيا من العام ١٩٠٦ إلى ١٩١٦م.

أنتجت سنوات الحرية هذه عدداً من المفكرين البارزين منهم: عبد الرشيد إبراهيموف (١٨٥٧–١٩٤٤م)، وموسى جار الله (١٨٧٥-١٩٤٩م)، وصادري مقصودي (١٨٧٨-١٩٥٧م)، ويوسف أكشورا أوغلو (١٨٧٦-١٩٣٥م)، وجاياز إسحاقي (١٨٧٨–١٩٥٤م)، ومير سعيد سلطان غالييف (١٨٨٠-١٩٣٩م)، وكان لأفكارهم وأنشطتهم تأثير بارز في الساحات المحلية والدولية. ومع ذلك فإن إحياء الإسلام في روسيا والنشاط السياسي لدى مسلمي روسيا كان قصير الأمد، حيث إن ثورة أكتوبر اكتسحت روسيا في العام ١٩١٧م.

• العلاقات بين المملكة العربية السعودية والاتحاد السوفييتي

خلال السنوات الحاسمة من الحرب الأهلية الروسية (١٩١٨-١٩٢٢م) اضطرت الحكومة البلشفية الشابة إلى كسب تعاطف ودعم السكان المسلمين الذين يقدرون بحوالي ٢٠ مليون شخص؛ من أجل تأمين السلطة السوفييتية في الأراضي التي يسكنها المسلمون. وحينما انتهت الحرب الأهلية بتأسيس الاتحاد السوفييتي، بذلت الحكومة ما بوسعها لتصفية كل ما يتعلق بالإسلام[٢٠]، فمعاناة المسلمين مع النظام القيصري لا تكاد تُذكر أمام ما عانوه في القرن العشرين تحت الحكم الشيوعي، ولكن وبشكل عام، كان لدى السياسات المناهضة للإسلام ٣ عناصر أساسية هي:

١- القضاء على البنية التحتية الثقافية والقضائية للمسلمين.

٢- القضاء على الاستقلال المالي للمؤسسات الدينية، وذلك عن طريق تفكيك نظام الأوقاف.

٣- الدعاية المضادة للإسلام.

---

(٢٠) ألميرا أحمدوفا، "أفكار لوحدة المسلمين في عصر القومية" منشورات أكاديمية لامبرت: ألمانيا، ٢٠٠٩م، ٢٥-٢٦.

وأوضحت «شيرين هنتر» أن الأديان كلها كانت مبغوضة لدى الفكر الشيوعي، ولكن الإسلام بالذات كان مستهدفاً بشكل أكبر لكونه رجعياً ومتخلفاً في نظرهم[٢١] .

إن أسوأ فترة مر بها المسلمون والإسلام في روسيا السوفييتية كانت خلال حكم جوزيف ستالين (١٩٢٣ – ١٩٥٣م)، حيث بدأ الهجوم الرسمي على الإسلام في العام ١٩٢٨م، وشمل سياسات مختلفة؛ كالإغلاق الشامل للمساجد والمؤسسات التعليمية، وتصفية العلماء المسلمين والنخبة السياسية الإسلامية. وفي سياق الحملة المعادية للإسلام في العام ١٩٣٠م تم تدمير معظم المساجد والمدارس والمكتبات والمؤسسات ذات الصلة بالإسلام، وتحويل بعضها إلى نوادٍ اجتماعية ومحلات تجارية ومدارس علمانية ومكاتب بريد ومستودعات تخزين وحظائر. وقبل ثورة أكتوبر كان هناك قرابة ٢٦ ألف مسجد في الإمبراطورية الروسية مع أكثر من ٤٥ ألف عالم وإمام لخدمة المسلمين، ومع نهاية حملة التطهير العظيم لستالين في العام ١٩٤٢م تبقى فقط ١٣١٢ مسجداً وتم إغلاق جميع المدارس الإسلامية بالقوة والبالغ عددها ١٤٥٠٠ مدرسة. وتم توجيه الاتهام التعسفي لمعظم علماء المسلمين البارزين بالنشاط المعادي للسوفييت وإعدامهم أو إرسالهم إلى معتقل غولاغ. كما تم القبض على علماء الدين والأئمة وتصفيتهم بوصفهم مخربين وجواسيس. وقد نجا أقل من ٢٠٠٠ من أصل ٤٥ ألفاً من الشخصيات الدينية البارزة، واضطروا إلى الفرار إلى أفغانستان وتركيا وإيران والصين، وتم وضع الإرث الكامل للمثقفين المسلمين البارزين – كعبد الرشيد إبراهيموف وموسى جار الله وأياز إشقي وإسماعيل جاسبرلي وغيرهم – على القائمة السوداء بسبب "الخطر الفكري" الذي يمثلونه، ومحو أساميهم من الوثائق والموسوعات وجميع أنواع الكتب بدعوى أنهم أعداء للأمة السوفييتية.

وتم إيقاف نشر المنشورات الإسلامية وحظر الكتب الإسلامية التي تم سبق نشرها من التداول والامتلاك، وصاحب حظر الكتب الإسلامية حملة لإحراق كتب واسعة النطاق، (وهو أمر على ما يبدو مشترك بين روسيا ستالين والنازية). وبالإضافة إلى ذلك اضطر المسلمون المالكون لكتب "ممنوعة" إلى إحراق أو دفن مكاتب بأكملها تجنباً لعقوبة السجن أو الإعدام. وضمن نظام التعليم السوفييتي الإجباري الموحد، تلقى الأطفال

(٢١) هنتر، "الإسلام في روسيا"، ٢٥.

المسلمون بجانب السوفييت التعليم الشيوعي الملحد، كما تعلموا نسخة سوفييتية جديدة من تاريخهم الذي يُعرِّف بالصراع الطبقي ويصف هوياتهم الوطنية والدينية بالبدائية وعديمة الأهمية.

سعت الحكومة السوفييتية إلى إحداث الفرقة بين صفوف المسلمين من خلال اللعب على الخلافات العرقية والقبلية، وفي العام ١٩١٩م قام القادة السوفييت بتقسيم المسلمين في منطقة الفولغا إلى ولايتين: التتار والباشقورد، في وقت كان المسلمون يطالبون فيه بجمهورية موحدة لكل المسلمين في المنطقة. وبعدها خلال ١٩٢٤ – ١٩٢٥م قام القادة السوفييت بتطبيق سياسة ترسيم الحدود بين المجتمعات المسلمة في آسيا الوسطى من أجل تشكيل دول جديدة مبنية على أربعة أسس كما وصفها ستالين، وهي: وحدة الأراضي، واللغة، والاقتصاد، والثقافة، وبناء على ذلك قسّم التعداد السكاني السوفييتي في العام ١٩٥٩م المجتمع المسلم، الذي يشكل حوالي ٢٠٪ من السكان السوفييت، إلى ٣٨ مجموعة مختلفة، وأطلق على بعضهم مسمى "الدول" وبعضهم الآخر "الدول الفرعية". وكانت أكبر تلك الدول هي الأوزبك الذين بلغ عددهم أكثر من ٦ ملايين نسمة، بينما كان لدى الدول الأخرى مثل: داغستان وشمال القوقاز أقل من ٢٠ ألفاً لكل منهما [٢٢].

في الوقت نفسه، حاولت الحكومة السوفييتية خلق صورة ودية للمسلمين في المحافل الدولية.

وفي العام ١٩١٩م أنشأ لينين منظمة الأممية الشيوعية لتصدير الثورة الاشتراكية لبقية أرجاء العالم وخصوصاً إلى آسيا؛ لتحرير الشعب الآسيوي المضطهد من الهيمنة الإمبريالية الغربية. ومنذ بداية عشرينيات القرن الماضي، استحوذ الشرق الأوسط المسلم على اهتمام الحكومة السوفييتية في سياساتها الخارجية. وبحلول العام ١٩٢٥م أقام النظام السوفييتي علاقات دبلوماسية مع جمهورية تركيا وإيران وأفغانستان وتبعتها لاحقاً اليمن. وعندما أعلن عبد العزيز بن سعود أنه ملك الحجاز في العام ١٩٢٦م وبعد عام واحد كان ملك نجد، سارع الاتحاد السوفييتي إلى الاعتراف بدولته وإقامة العلاقات

(٢٢) حول السياسات السوفييتية التي تهدف إلى تقسيم المجتمع المسلم الروسي،انظر: ألكسندر بنيجسن، "الوعي الإسلامي أو المحلي بين الجنسيات السوفييتية". وإدوارد آلورث، "مشاكل الجنسية السوفيتية"، مطابع جامعة كولومبيا: نيويورك، ١٩٧١م، ١٧٨-١٨٢.

الدبلوماسية معها [٢٣]. وكان السياسي الناجح ذو الأصول المسلمة كريم حكيموف (١٨٩٢-١٩٣٧م) أول سفير سوفييتي في المملكة العربية السعودية.

كان حكيموف ملماً بالأمور الدينية بسبب دراسته وتخرجه في منطقة أورينبورغ. وأصبح في العام ١٩١٨م عضواً في الحزب الشيوعي، وشارك في إنشاء فرق المشاة الثانية التركستانية والتي كانت مسؤولة عن إضفاء الطابع السوفييتي في آسيا الوسطى و»تحرير» أفغانستان وإيران والهند. وبعد إتمام مهمته عميلاً سرياً سوفييتياً في بخارى، أصبح رئيساً للسفارة السوفييتية في الحجاز والمملكة العربية السعودية، وكسب تعاطف النخبة السعودية الحاكمة خلال أدائه مناسك العمرة، وبفترة وجيزة أصبح صديقاً مقرباً للملك عبد العزيز بن سعود وقدم له المشورة الشخصية حول كيفية تشكيل الدولة الحديثة في المملكة العربية السعودية، وأصبح الملك عبد العزيز في نهاية المطاف شريكاً استراتيجياً للاتحاد السوفييتي وأصبح السوق المحلي متاحاً للسلع السوفييتية. وفي العام ١٩٢٩م، تم تعيين حكيموف سفيراً في اليمن. وفي العام ١٩٣٥ تم اختياره مرة أخرى سفيراً في المملكة العربية السعودية. ولكن في العام ١٩٣٧م تم استدعاء حكيموف إلى موسكو وتنفيذ حكم الإعدام فيه بتهمة نشر «القومية البرجوازية»، واعتبر الملك السعودي هذا الأمر جريمة شخصية، وقطع العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي.

لعب النظام السوفييتي دوراً مهماً في تنظيم المؤتمر الإسلامي العالمي خلال فترة الحج بين السادس من يونيو والخامس من يوليو من العام ١٩٢٦م. وناقش المؤتمر طرق تحرير المسلمين من الاعتماد الاستعماري على الغرب، وهو ما يعتبر الهدف الرئيس للسوفييت في سعيهم لتحقيق «ثورة عالمية»، فامتلاك خطاب الخلافة بنظر السوفييت يعد نصراً شيوعياً في الشرق ذي الأغلبية المسلمة. وكان الوفد السوفييتي في المؤتمر الإسلامي العالمي في مكة بقيادة المفتي السوفييتي رضا الدين فخر الدين من بين أكبر الوفود الرسمية المكونة من ٨ أعضاء[٢٤]. وذكر تقرير أعده «راؤول والينبرغ» نائب رئيس الاستخبارات السياسية السوفييتية (الفرع الشرقي للإدارة السياسية المشتركة) أن هذا الوفد يمثلنا،

(٢٣) انظر: "الاتحاد السوفييتي وحكومة نجد والحجاز") أزيستيا، مايو ٢٩، ١٩٣٢م.

(٢٤) وحده الوفد الهندي، المكون من ١٣ عضواً من ثلاث مجموعات (مجموعة الخلافة، مجموعة العلماء، ومجموعة الحديث) كان أكبر من الوفد السوفييتي المكون من ثمانية أعضاء فقط.

ويحتوي على شخصيات متميزة على المستوى المحلي والدولي وتم اختيارهم بعناية من قبل السلطات[٢٥]. وهدف الوفد السوفييتي في مؤتمر مكة يرتكز على أمرين: أولًا:، تعزيز الروح المعادية للإمبريالية بين الحاضرين وتحديداً فيما يخص معاداة بريطانيا. ثانياً: تقديم الدعم للشرعية وسيادة الحكومة الجديدة في عهد ابن سعود[٢٦].

خلال السنوات اللاحقة، حاول الاتحاد السوفييتي السيطرة على مسألة الخلافة ورسم المسار الصحيح لبعض التطورات السياسية المهمة في الشرق الأوسط، وذكرت «لاريسا أوسمانوفا» أحد العلماء التتار المعاصرين أن العالِم المخضرم عبد الرشيد إبراهيموف قد تم إرساله من قبل السلطات إلى المؤتمر الإسلامي في القدس المنعقد في العام ١٩٣١م؛ من أجل دحض الدعاوى المعادية للسوفييت التي نشرها المهاجرون من تركيا والتتار في العالم الإسلامي. وخلاصة القول: إن موضوع الدين الإسلامي ورغبة المسلمين المحليين والدوليين في الاتحاد والمشاعر الدينية الأخوية قد تم استغلالها بمهارة من قبل العقول المدبرة في نظام الاتحاد السوفييتي ضد عدوها الاستراتيجي الإمبراطورية البريطانية، ولاحقاً ضد الولايات المتحدة. من الواضح أن الدبلوماسية السوفييتية قد استفادت من تفضيل الناس لرجال الدين في خلق صورة إيجابية لدى العالم الإسلامي عن الاتحاد السوفييتي. وفي غضون عقد من الزمن في السُّلطة، ظهر النظام الشيوعي بوصفه أحد اللاعبين الرئيسين في سياسات الشرق الأوسط المساهمة في اتخاذ القرارات المهمة في المنطقة. وفي الوقت نفسه تم قمع الإسلام بشدة، فالسياسات المعادية للنظام الشيوعي

---

(٢٥) انظر: أرشيف الدولة الروسية للتاريخ الاجتماعي والسياسي، الملف ١٧ الحالة ١٧١، أرابوف وجي كوساتش، "الإسلام والمسلمين في سجلات القسم الشرقي للإدارة السياسية للدولة، للعام ١٩٢٦م" نيزني نوفغورد: المدينة ٢٠٠٧م.

(٢٦) بعد فترة وجيزة من عودته إلى روسيا، اعترف رئيس الوفد رضا الدين فخر الدين بأن المهمة الرئيسة للوفد السوفييتي في المؤتمر الإسلامي الأول لمكة المكرمة كانت: (١) معارضة أي محاولات من قبل القوى الاستعمارية للتلاعب بالمشاعر الدينية للمسلمين وطموحاتهم في الاتحاد للأغراض الإمبراطورية ، (٢) لمساعدة حكومة ابن سعود في تأسيس سمعة لمملكته بوصفها دولة مستقلة في العالم الإسلامي. في مقابلة لرئيس وفد مسلمي اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية، رضا الدين،انظر: أرابوف وكوشاك، المرجع السابق. في تقرير سري عن مؤتمر القاهرة ومكة المكرمة، حدد فالنبرج الأهداف الرئيسة للسلطة السوفييتية من مؤتمر مكة المكرمة الذي سيقوم به وفدها وفقاً للاستفادة من الحضور في مؤتمر مكة لتوحيد الجمهور على مزاج مناهض لبريطانيا ضد مؤتمر القاهرة، ومحاولة إلغاء قرارات مؤتمر القاهرة بوصفه ناتجاً من الديكتاتورية البريطانية. وفي حالة فشل مؤتمر القاهرة في تحديد خليفة جديد (تم إعداد هذه الصفحات الخاصة بالتقرير قبل انعقاد مؤتمر القاهرة)، ينبغي على وفدنا أن يبذل جهداً أكبر من أجل الامتناع عن الاجتماع في مكة لاختيار الخليفة.انظر: أرابوف وكوشاك، الإسلام، مسلمون، ١١١-١١٢.

ومع ذلك، لم يتمكن إبراهيموف من الوصول إلى القدس، وبدلاً من ذلك ذهب إلى مكة، حيث شجب ذلك المؤتمر العالمي في القدس.انظر: لاريسا أوسمانوفا، "التتار في شمال شرق آسيا.. تحويل الوعي: الرواية التاريخية والنفسية بين ١٨٩٨ و١٩٥٠م"، طوكيو: راكوداشا، ٢٠٠٧م.

أدت إلى إرباك الأسس الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الإسلامي. علاوة على ذلك فإن الشعوب المسلمة خُدعت سياسياً، وقُضي على النخب السياسية والدينية، وانخفض عدد سكان الدول الإسلامية بشكل كبير بسبب عمليات الترحيل الجماعي لآسيا الوسطى في أربعينيات القرن الماضي. ومع ذلك نجا الإسلام مرة أخرى على الأراضي الروسية وتبع انهيار الاتحاد السوفييتي إحياء الإسلام.

حالة الإسلام والمسلمين في روسيا الحديثة:

• لمحة عامة عن المسلمين في روسيا المعاصرة

يعيش معظم مسلمي روسيا اليوم في منطقة الفولغا وجبال الأورال وفي غرب سيبيريا وشمال القوقاز. وفي أجزاء أخرى من روسيا كالمدن الكبرى مثل: موسكو وسانت بطرسبرغ ونيزني نوفغورد لديها عدد كبير من السكان المسلمين، حيث يقدر عدد المسلمين في موسكو وحدها بأكثر من ٢ مليون من أصل ١٠,٥ مليون. أما في سانت بطرسبرغ فيقدر عدد المسلمين بحوالي ٥٠٠ ألف من أصل ٤,٦ بحسب التعداد السكاني الصادر في العام ٢٠٠٢م. ووفقاً لصحفي BBC التتاري المقيم في لندن، "رافيل بوخاريف" فقد ذكر بأنه لا توجد اليوم مدينة كبيرة في سيبيريا لا تحتوي على مسجد، والمسلمون موجودون بكل مكان من جبال الأورال وحتى شبه جزيرة كامتشاكا. وينتمي مسلمو روسيا الحديثة إلى أكثر من ٤٠ جماعة عرقية[٢٧] بما في ذلك التتار المنحدرون من البلغار والتتار السيبيريون والشيشانيون والأنغوش والباشقورديون والدارجينيّون والبلقار والأفاريين والأفاريون والقراشايون والشركس والقبرديون وغيرهم الكثير. ويوجد في منطقة داغستان وحدها العشرات من الأعراق المسلمة الأصلية. ويسود المسلمون في سبع جمهوريات من أصل ٢١ جمهورية في روسيا الاتحادية وهي: جمهوية باشقوردستان، وتتارستان في منطقة الغولغا وجبال الأورال، وجمهورية الشيشان، وإنغوشيا، وداغستان، والقبردينو – بلقاريا، وقراتشاي – شركس في شمال القوقاز.

---

(٢٧) بما في ذلك العرقية الصغيرة في منطقة القوقاز قد يجعل هذا الرقم أعلى من ذلك. على سبيل المثال: أشار رئيس روسيا آنذاك "دميتري ميدفيديف" خلال زيارته إلى المسجد الكبير في موسكو في ١٥ يوليو – تموز ٢٠٠٩م، إلى أن ٥٧ من أصل ١٨٢ مجموعة عرقية مختلفة في روسيا عرفوا أنفسهم كمسلمين.انظر: ألميرا أحمدوفا، "روسيا: كتاب عن المسلمين في أوروبا: الجزء الثاني"، أكاديمية بريل للنشر: هولندا، ٢٠١٠م.

ينتمي معظم مسلمي روسيا (أكثر من ٩٠ ٪) إلى مذهبين فقهيين هما: المذهب الحنفي، والمذهب الشافعي، فمسلمو منطقة الفولغا وجبال الأورال والبلقار والقراشاي ونوغاي ينتمون للمذهب الحنفي، أما مسلمو داغستان والشيشان وأنغوشيا فينتمون للمذهب الشافعي. ويشكل الشيعة الإثنا عشرية أقلية صغيرة توجد في القوقاز بين الأتراك الأذربيجانيين المهاجرين واللزجيون وهم مجموعة عرقية صغيرة في داغستان. وينص دستور روسيا الاتحادية للعام ١٩٩٣م على "أن روسيا دولة علمانية ولا يمكن اعتماد أي دين على أنه الدين الرسمي أو الإلزامي، وأن الجماعات الدينية ستكون منفصلة عن الدولة وستكون متساوية أمام القانون". (المادة ١٤).

كما يضمن حرية اعتناق أي دين وممارسته بشكل جماعي أو فردي، أو بعدم الاعتناق لأي دين، ويضمن "حرية اختيار ونشر المعتقدات الدينية وغيرها والتصرف وفقاً لها" (المادة ٢٨). كما تحظر "جميع أشكال تقييد حقوق الإنسان على أسس اجتماعية أو عرقية أو قومية أو لغوية أو دينية" (المادة ١٩).. ومع ذلك يُعرف الإسلام بأنه "دين تقليدي" في روسيا الاتحادية إلى جانب المسيحية الأرثوذكسية والبوذية واليهودية، وفقاً لقانون حرية الضمير للعام ١٩٩٧م.

وبشكل متكرر تؤكد السلطات الروسية والقادة السياسيون أن الإسلام جزء من المجتمع الروسي، ففي العام ٢٠٠٥م حصلت روسيا على امتياز "وضع المراقبة" من قبل منظمة التعاون الإسلامي، ومنذ ذلك الحين يزعم القادة الروس أن روسيا - إلى حد ما - تعد جزءاً من العالم الإسلامي، في خلال حديثه أمام البرلمان الشيشاني في ديسمبر ٢٠٠٥، صرّح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين "أن روسيا لطالما كانت المدافع الأكثر موثوقية عن مصالح العالم الإسلامي، والشريك والحليف المثالي الذي يمكن الاعتماد عليه في العالم الإسلامي"، وخلال زيارته الرسمية إلى مصر في ٢٣ يونيو ٢٠٠٩، ألقى الرئيس الروسي السابق ديمتري ميدفيديف كلمة في مقر الجامعة العربية، أعلن فيها أن روسيا جزء أساس من المجتمع الإسلامي، وتعارض الجهود الغربية في تعزيز التغيير الديموقراطي في الشرق الأوسط.. حيث قال ميدفيديف أمام جمهوره: "الإسلام جزء لا يتجزأ من التاريخ والثقافة الروسية، حيث إن عدد المسلمين الروس بلغ أكثر من ٢٠ مليون مواطن"، ومن ثم "فإن روسيا ليست بحاجة للسعي خلف عقد الصداقات مع العالم الإسلامي لأن دولتنا جزء أساس منه".

• رفاهية المسلمين في روسيا الاتحادية

يتمتع المسلمون بحقوقهم مساواة مع المواطنين الآخرين في الدولة، ويمثَّل صوتهم من قبل مجلس العلماء الرسمي الذي يضم العديد من مؤسسات الإفتاء، وأنشطهم مجلس المفتين الروس الذي تأسس في يوليو من العام ١٩٦٦م ويهدف إلى توحيد الجماعات السنية الإسلامية في روسيا على أساس طوعي. وتساعد الدولة المؤسسات الإسلامية عن طريق تمويل التنمية التعليمية والثقافية، ونتيجة لذلك نجح المسلمون في استعادة الوجود الإيجابي للإسلام في المجتمع الروسي بعد سنوات طويلة من الاضطهاد الديني وبروز الإلحاد.

ومع ذلك فإن فاجعة هجمات الحادي عشر من سبتمبر من العام ٢٠٠١م، والحرب العالمية على الإرهاب التي تقودها الولايات المتحدة؛ قد ألقت بظلالها على قرار روسيا بشأن ما يسمى بالتطرف الديني، حيث إن الهجمات السابقة داخل الأراضي الروسية - كالتفجيرات التي شُنّت في موسكو في سبتمبر ١٩٩٩م - قد تعدُّ من الآثار المفرطة للصراع المحلي في الشيشان، وناتجة عن الانفصالية، وليس نتيجة أيديولوجية دينية. واعتمدت روسيا في يونيو ٢٠٠٢م، تزامناً مع بداية الحرب على الإرهاب، قانوناً جديداً بعنوان «مكافحة الأنشطة المتطرفة» والذي يُعرف عادة باسم «قانون التطرف»، وحدد الأنشطة المتطرفة بتلك المتعلقة بالسياق الديني مثل: التحريض على الكراهية الدينية، وارتكاب الجرائم بدافع الكراهية الدينية، وإعاقة الإجراءات القانونية للجمعيات الدينية المصحوبة بالعنف أو التهديد بالعنف، والانتقاص أو الترفع أو التفرد على الموطنين بناء على مواقفهم تجاه الدين أو الانتماء الديني.

وفي أعقاب قانون التطرف للعام ٢٠٠٢م، تزايدت حالات التمييز وانتهاك حقوق المسلمين تحت ذريعة مكافحة التطرف الديني أو الإرهاب الإسلامي في روسيا. كما تم حظر العشرات من الكتب الإسلامية السائدة؛ ككتاب (رياض الصالحين)، و(الأربعون حديثاً) للنووي، و(ميزان الأعمال) للإمام الغزالي، و(السيرة النبوية) لابن هشام، وأجزاء من (رسائل النور) للنورسي؛ من قبل مختلف المحاكم المحلية في روسيا؛ بدعوى التحريض على الكراهية بين الأديان والأعراق وتعزيز التفرد والترفع على أساس الدين. وفي العام ٢٠١٦م، استمر حظر المنشورات الإسلامية ووصفها بالمتطرفة وإدراجها

في القائمة الاتحادية للمواد المتطرفة التابعة لوزارة العدل الروسية، على الرغم من أن معظمها لا يحرض على العنف أو العنصرية، فعلى سبيل المثال: وُصف كتاب «حصن المسلم» الذي يشرح أداء الصلوات اليومية؛ بالكتاب المتطرف للمرة الثانية في أغسطس ٢٠١٦ من قبل المحكمة الإقليمية في بورياتيا، كما تم منعه عبر مواقع إلكترونية عدة، وكذلك نسخه الورقية ، فالمؤسسة الاتحادية للإشراف على الاتصالات وتقنية المعلومات ووسائل الإعلام لديها السلطة في حجب المواقع والتطبيقات والصحف الإلكترونية بدون اللجوء إلى المحاكم. ويتم أيضاً التشديد على المكتبات العامة والمؤسسات التعليمية وحتى المقاهي؛ في حال عدم وفائها بمنع مستخدمي شبكاتها من الوصول إلى المواد المتطرفة عبر الإنترنت(٢٨). إلى جانب حظر العديد من المنظمات والجماعات والحركات الإسلامية؛ كحزب التحرير، وجماعة التبليغ، والنورسية (أتباع سعيد النورسي)، وما يسمى بأهل السنة والسلفية والوهابية وغيرها والتي تم حظرها باعتبارها متطرفة ومناقضة للمذهب الحنفي التقليدي، وفقاً لقانون التطرف للعام ٢٠٠٢م. وبطبيعة الحال أدى هذا الحظر إلى اعتقال العشرات إن لم يكن المئات من المسلمين في روسيا بسبب مزاعم الانتماء إلى الجماعات المتطرفة، فمنذ العام ٢٠٠٢م، اعتُقل العديد من المسلمين بسبب مشاركتهم في تنظيمات ليس موجودة أصلاً (وفقاً لنشطاء حقوقيين ومحاميين).. و في الواقع، يعد المذهب الحنفي هو المذهب المقبول والمتعارف عليه في روسيا، بينما المذاهب الأخرى غير مرحب بها(٢٩)، (باستثناء المذهب الشافعي الذي يمكن القبول به لانتماء مسلمي شمال القوقاز له مثل: الشيشان والأنغوش)، كما يثير احتكار الإدارة الروحية والسلطات الإقليمية لحياة المسلمين ومعتقداتهم مشاعر الشك حول كل من لا يتبع المذهب الحنفي.

وعادة ما تبدأ ملاحقات المسلمين – التي غالباً ما تكون مسلحة – بغارات من قبل الجهات المعنية بإنفاذ القانون على منازل الأشخاص المشتبه باستمرارهم في أنشطة

---

(٢٨) أرنولد "روسيا: استبيان عن حرية التطرف الديني" المنتدى ١٨، سبتمبر ٢٠١٦م
http://forum18.org/archive.php?article_id=2215

(٢٩) أفادت الخدمات الإخبارية للمنتدى ١٨ ومقره أوسلو بالاحتكار الديني الحنفي القائم في روسيا.انظر: جي فاقان، "روسيا: قبول مدارس الإسلام طالما كانت حنفية" يوليو ٢٠٠٩م
http://www.refworld.org/pdfid/4a55f93c2.pdf وانظر ايضا أحمدوفا , روسيا

متطرفة محظورة.. وتشتمل هذه الغارات على مصادرة الهواتف وأجهزة الكمبيوتر والمنشورات الدينية، واعتقال الأفراد واستجوابهم.. وفي بعض الأحيان يتم احتجاز المشتبه بهم في الحجز الاحتياطي أو وضعهم رهن الإقامة الجبرية ومنعهم من السفر مع استمرار التحقيق الذي قد يستغرق لأشهر عدة.. وبموجب المادة رقم ١٠٩ من قانون الإجراءات الجنائية، يمكن احتجاز الأفراد في البداية لمدة شهرين، ويجب على المحققين السعي في تقديم طلب لمحكمة محلية من أجل أي تمديد زمني ضروري لهذه الفترة. ويمكن تمديد فترة الاحتجاز قبل المحاكمة في القضايا المتعلقة بالتطرف لمدة أقصاها ستة أشهر، وتُمدّ في الحالات الخطرة سنةً واحدة في حد أقصى..

ومن خلال مراقبة قضايا الإرهاب الإسلامي المزعومة، يؤكد مركز ميموريال لحقوق الإنسان أن روسيا اليوم تشن حملة واسعة النطاق ضد مختلف الجماعات الإسلامية تحت ذريعة محاربة الإرهاب الدولي، مصحوبة بانتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان الأساسية. ومعظم قضايا انتهاك حقوق المسلمين الأساسية هي نتيجة لقانون التطرف للعام ٢٠٠٢م. وفي الواقع ليس لدى الحكومة الروسية سياسة تقيد حرية الدين أو المعتقد، ولكن تعريف التطرف الواسع والمنصوص في قانون التطرف قد فتح المجال للمسؤولين الفاسدين للحصول على المنافع المالية بحجة مكافحة التطرف. على سبيل المثال: في العام ٢٠١٦م تم اعتقال ٨ مسلمين في جمهورية باشقوردستان بسبب القراءة من منشور محظور لحزب التحرير، وحُكم عليهم بالسجن لمدة تصل إلى ١٠ سنوات بتهمة «إنشاء منظمة إرهابية». كما لاحظت منظمة المنتدى ١٨ المعنية بحقوق الإنسان أن استراتيجية مكافحة التطرف في شمال القوقاز أشد صرامة. وفي جمهورية الشيشان وداغستان على وجه التحديد، قد يحتجز الأشخاص الذين يلقبون بالوهابيين (وهو مصطلح يستخدمه المسؤولون بشكل فضفاض للمسلمين الذين لا يحبونهم)، وأحياناً يحتجز أشخاص ذوو مظهر إسلامي متدين بتهمة التطرف؛ من قبل الجهات المعنية بإنفاذ القانون.. ويشير السكان المحليون إلى أن هؤلاء الأشخاص يتعرضون للتعذيب بشكل متكرر وأحياناً يختفون، وهذه المزاعم يؤكدها مسؤولو الدولة من وقت لآخر.

ظاهرة الخوف من الإسلام وسياسة الكراهية تجاه كل ما هو إسلامي هو واقع معاش في روسيا.. فهناك العديد من قضايا الاعتراضات العامة والرسمية من قبل الكنيسة

الأرثوذكسية والإدارات الإقليمية والسكان غير المسلمين على بناء مساجد جديدة أو الاحتفال بالأعياد الإسلامية، ويرفضون منح الوظائف للنساء المحجبات والرجال الملتحين، ويطالبون باستبعاد النساء المحجبات من وظائفهن، وعدم السماح للفتيات اللواتي يرتدين الحجاب بدخول المدارس. وفي الواقع، إن المسلمين التقليديين مثل: التتار والباشقورد الذين لا يظهر عليهم الالتزام الديني لا يواجهون مثل هذه المشاكل، كما أن المسلمين المنحدرين من شمال القوقاز والمهاجرين من آسيا الوسطى غيرُ مرحّب بهم في المدن الروسية.

المسلمون والعلاقات السعودية – الروسية

في أوائل ثلاثينيات القرن الميلادي الماضي، قطعت المملكة العربية السعودية علاقاتها كافة مع الاتحاد السوفييتي بسبب هجومه على الإسلام، ومع ذلك فقد سمحت المملكة لعشرين مسلماً سوفييتياً بأداء شعائر الحج سنوياً من العام ١٩٤٦م إلى العام ١٩٩٠م[٣٠] وتوقفت في وقت لاحق بسبب تدهور العلاقات بين البلدين على خلفية دعم المملكة للمجاهدين الأفغان.

وفي العام ١٩٩١م تأسست روسيا الاتحادية في أعقاب انهيار الاتحاد السوفييتي، ومنذ ذلك الحين تعد السياسة الخارجية لروسيا في الشرق الأوسط ذات أبعاد متعددة تستوجب بناء علاقات استراتيجية مع الأطراف المؤثرة في المنطقة، فالشروع في شراكة مع المملكة العربية السعودية كانت مهمة شاملة، حيث إن المملكة العربية السعودية دولة رائدة في مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ومؤثر رئيس في أسواق النفط العالمية كروسيا [٣١]. ومنذ العام ١٩٩١م تم استعادة العلاقات الدبلوماسية الروسية – السعودية على الرغم من أن الالتزام الثنائي لم يكن مستقراً دائماً. وفي العام ٢٠٠٣م زار الملك عبد الله بن عبد العزيز روسيا لما كان ولياً للعهد مفتتحاً بذلك الاتصالات رفيعة المستوى بين البلدين، والتقى الرئيس الروسي بالملك عبد الله بالرياض خلال زيارة

(٣٠) الكساندر واسيليف, «نحو المقدسات الإسلامية», روسيسكايا جازيتا,
https://rg.ru/2017/08/31/ilias-umahanov-podavliaiushchee-bolshinstvo-musulman-zakonoposlu-shnye-liudi.html

(٣١) جي كوشاك وملكومان، احتمالات العلاقات الاستراتيجية بين روسيا والسعودية (مجلس الشؤون الدولية الروسية: موسكو) أغسطس ٢٠١٦م.

وفد رسمي في الحادي عشر والثاني عشر من فبراير من العام ٢٠٠٧م، وهي أول زيارة رسمية لزعيم روسي للمملكة.

وتعد المكافحة المشتركة ضد الإرهاب والتطرف أحد الأبعاد الرئيسة للتعاون الثنائي بين المملكة العربية السعودية وروسيا ؛ كما تشير إحدى الأوراق المتعلقة بالسياسة العامة والصادرة من قبل مجلس الشؤون الدولية الروسي في العام ٢٠١٦م، وغالباً ما تتوافق مواقف الرياض وموسكو بالمسائل المتعلقة بمصر والصراع في الشرق الأوسط وتونس، وتختلف قليلاً في المسائل المتعلقة بالإجراءات الجارية حالياً في سورية أو حول القضية الإيرانية.. ولا تمنع هذه الاختلافات من دعم تحول الخليج العربي والشرق الأوسط كلياً إلى منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل، مع الإقرار بحق جميع الدول في الاستخدام السلمي للطاقة النووية. ومع ذلك لم تحقق المملكة العربية السعودية وروسيا الاتحادية شراكة استراتيجية كاملة؛ بسبب الافتقار إلى الثقة المتبادلة، ويعود ذلك في المقام الأول إلى التفسير الروسي لـ "الوهابية".

بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، لعبت المملكة العربية السعودية دوراً حيوياً في نهضة الإسلام على الأراضي الروسية، وذلك عن طريق رعايتها السخيّة لبناء المساجد والمؤسسات التعليمية الإسلامية.. ففي ثمانينيات القرن الميلادي الماضي، لم يكن هناك سوى ١٧٩ مسجداً في الاتحاد السوفييتي بأكمله، ولكن بحلول العام ١٩٩٨م كان هناك أكثر من ٥٥٠٠ مسجد مسجل في روسيا: ٢٠٠٠ منها تقع في الشيشان، و١٦٧٠ في داغستان، و١٠٠٠ في تتارستان، و٤٠٠ في إنغوشيا. وتوجد المساجد اليوم في كل المدن الكبرى والصغرى التي بها جالية مسلمة، كما تم افتتاح مساجد في مدن روسية قديمة مثل: تفير وكوستروما وياروسلافي وريازان ونيزني نوفغورد وغيرها. ويقدر الخبراء بأن عدد المساجد المسجلة اليوم هو ١١ ألف مسجد ونحو ١٢ ألف مصلى في روسيا، والرقم في ازدياد. وبحسب التقارير فإن العديد من هذه المدارس والمساجد تتلقى الدعم المالي من المملكة العربية السعودية؛ ففي آسيا الوسطى فقط على سبيل المثال: رعت المملكة وقطر قرابة ٢٥٠٠ مسجد ومؤسسة تعليمية بنفقة تساوي خمسة مليارات دولار أمريكي [٣٢].

(٣٢) "سياسات المملكة العربية السعودية وقطر في آسيا الوسطى"، ٢٧ نوفمبر ٢٠١٦م
http://www.ca-portal.ru/article:25278

بالإضافة إلى سفر المئات من الشباب الروسي المسلم إلى المملكة لتلقي العلوم الإسلامية. كما تم ترجمة الكتب الإسلامية إلى اللغة الروسية واللغات المحلية الأخرى ونشرت بسخاء على نفقة المؤسسات السعودية. وسرعان ما صُنفت هذه الأنشطة التي ساهمت بنهضة الإسلام من جديد في روسيا في الفترة ما بعد الحقبة السوفييتية؛ بأنها مظهر من مظاهر نشر الوهابية والتطرف الديني بدعم من المملكة[٣٣].. ومن ثم أصبحت جهود المسلمين الروس في ممارسة شعائر الإسلام المتطرف أمراً يهدد أمنهم ورفاهيتهم. واعتبرت السعودية هذا التمييز الديني بأنه مظهر من مظاهر الخوف من الإسلام[٣٤]. وفي الجانب الآخر اعتبرت روسيا المملكة العربية السعودية «مخزوناً» للغرب.. إن مثل هذه المواقف القائمة على الشك والريبة في كل ما يتعلق بالمملكة العربية السعودية قد قلل من العلاقات الثقافية والتعليمية بين المسلمين في كلا الدولتين، وأبقى على التعاملات المتعلقة بالحج فقط حيث أدى ١٦٤٠٠ مسلم روسي فريضة الحج في العام ٢٠١٦م.

وتلعب جمهوريات روسيا الاتحادية ذات الغالبية المسلمة مثل: باشقورد وتتارستان دوراً مهماً في العلاقات السعودية – الروسية، فقد أجبرت الأزمة الاقتصادية في العامين ٢٠٠٨-٢٠٠٩م الحكومة الروسية على الالتفات إلى القطاع المصرفي الإسلامي، الذي يُنظر إليه باعتباره وسيلة محتملة لنقل الاستثمارات ورؤوس الأموال من دول الخليج الغنية بالنفط إلى روسيا، وتستمر موسكو في سعيها لتقارب أكثر مع الرياض في هذا المجال والذي تلعب حكومة تتارستان دوراً مهماً فيه دون الوصول لنتائج ملموسة حتى الآن.. وفي مايو من العام ٢٠٠٥م، تم تأسيس مجلس الأعمال الروسي – السعودي لزيادة فرص التعاون بين الشركات الصغيرة والمتوسطة في البلدين بتنسيق من المنتدى الاقتصادي (روسيا – العالم الإسلامي) الذي يضم دول منظمة المؤتمر الإسلامي. ومع ذلك لا يوجد اليوم شركات سعودية في روسيا والعكس كذلك.. وبناء على ذلك، لا تزال العلاقات السعودية – الروسية في مراحلها الأولية التي غالباً ما ستكون متوترة بسبب مصالح القوى العالمية في الصراع في الشرق الأوسط.

---

(٣٣) "مخطط تمويل الراديكالية الإسلامية في روسيا" ٣ أبريل ٢٠١٧م ٣ http://www.apn.ru/index. php?newsid=36175.

(٣٤) كوشاك وملكومان، احتمالات العلاقات الاستراتيجية.

الخلاصة والتوصيات المتعلقة بصنع السياسات

بعد استعراض موجز للعلاقات السعودية – الروسية في ضوء حقوق الأقلية المسلمة في روسيا الاتحادية؛ تقترح هذه الورقة البحثية بعضاً من الملاحظات والتوصيات المتعلقة بصنع السياسات:

أولاً:، يجب ألا تقتصر العلاقات بين المسلمين والروس على أنها مشروع للهجرة في فترة ما بعد الاستعمار، أو على أنها مظهر من مظاهر العولمة والتبادل الثقافي.. فالمسلمون في روسيا ليسوا مهاجرين غرباء، بل مواطنون طبيعيون للدولة عاشوا في وطنهم الأم لقرون عدة. وفي الواقع احتفل مسلمو روسيا في العام ٢٠٠٠م بمناسبة مرور ١٤ قرناً على وجود الإسلام في الأراضي الروسية.. وشارك المسلمون طوال هذه القرون في بناء ما نسميه اليوم "الحضارة الروسية"، كما أن تاريخ المواجهات الروسية – المسيحية مع المسلمين ليست سوى صدام وغزو ومقاومة.. وقد مرت العلاقات بين المسلمين والروسيين في روسيا أو بين روسيا والدول الإسلامية الأخرى بفترات من التسامح والتعايش والاستقرار والتعاون، وعقلية وسلوك المواطن الروسي – المسيحي والمسلم – قد تأثرت وتشكّلت بهذه التجارب التاريخية والواقع السياسي الحالي.

ثانياً: أثرت الحرب العالمية على الإرهاب في أعقاب الهجمات على مدينة نيويورك في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م بشكل سيئ على رفاهية المسلمين وسلامتهم بشكل عام، وعلى العلاقات السعودية – الروسية بشكل خاص، فقانون "مكافحة الأنشطة المتطرفة" أدى إلى تراجع الحرية الدينية وظهور موجة من المشاعر المعادية للإسلام في روسيا، واتخذت الحكومة الروسية موقفها من الشك تجاه كل أنواع العلاقات الدولية والمؤثرات القادمة من العالم الإسلامي، وخاصة من دول الخليج، وأوقفت كل التبرعات القادمة من السعودية، وحظرت المؤسسات التي تمولها السعودية في روسيا في خطوة لمنع التأثيرات "الوهابية" غير القانونية.. كما تم الحكم على المنشورات الدينية والكتب المترجمة إلى اللغة الروسية والمطبوعة في السعودية بأنها متطرفة وخطر على الأمن القومي. ولكن استمرت الحكومتان في الوقت نفسه في العمل معاً – رغم الحذر – في مكافحة التطرف ونشر العلم والبرامج الثقافية وتعزيز تطوير المصرفية الإسلامية في روسيا.

ثالثاً: يتعرض المسلمون الروس للتهميش بسبب الصراعات الدولية والشرق الأوسط. فالاهتمام الإعلامي المكثف حول التجاوزات التي ارتكبتها الجماعات الإسلامية المسلحة في العراق وسورية (داعش) قد أثرت بشكل كبير على الصورة الراسخة للمسلمين في روسيا.. وقد أدى وجود المسلمين الروس وخاصة من مناطق الشيشان وشمال القوقاز في صفوف داعش إلى تفاقم الوضع.. وفي حديثه أمام اللجنة التنفيذية للهيكل الإقليمي لمكافحة الإرهاب التابعة لمنظمة شنغهاي للتعاون؛ أعلن سيرغي سميرنوف، نائب مدير جهاز الأمن الفيدرالي الروسي عن وجود قرابة ٣٠٠ إلى ٤٠٠ مقاتل من أصل روسي في سورية والعراق[٣٥]. ونتيجة لذلك تزايدت حالات اعتقال المسلمين بسبب ادعاءات تورطهم في أنشطة إرهابية. وأفادت منظمة العفو الدولية بأن احترام حقوق حرية التعبير والمنظمات والتجمعات السلمية قد انخفض إلى حد كبير في روسيا بعد التدخل في شبه جزيرة القرم في مارس من العام ٢٠١٤م، كما سيطرت السلطات على وسائل الإعلام المطبوعة والمرئية ووسعت نطاق سيطرتها على الإنترنت أيضاً. وواجهت المنظمات غير الحكومية المزيد من المضايقات والأعمال الانتقامية بموجب قانون «الوكلاء الأجانب» وتم تقييد وصولهم للأموال الأجنبية بموجب قانون جديد يمنع المنظمات «غير المرغوب بها»[٣٦]، ومن ثم تم اعتقال المسلمين المحليين الذين أبدوا تعاطفاً مع موقف التتار في شبه جزيرة القرم المعادي لروسيا أو انتقدوا السياسات الروسية تجاه أوكرانيا[٣٧] .

وأخيراً: لدى المملكة العربية السعودية وروسيا إمكانيات للانخراط في علاقات اقتصادية وثقافية أوسع نطاقاً، ولعب المزيد من الأدوار الجوهرية في الأمن الإقليمي والعالمي. وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الفرص مهددة بسبب عدم وجود تعريف مناسب لـ "الوهابية" بنطاق ومعنى واضحين، وارتباطها المزعوم بالإرهاب والتطرف الإسلامي. وختاماً: يقترح هذا التحليل بعضاً من التوصيات المتعلقة بصنع السياسات لتعزيز رفاهية مسلمي روسيا والعلاقات الروسية – السعودية:

---

(٣٥) صرحت وكالة BBC أنه بحسب أجهزة الأمن هناك قرابة ٢٥٠٠ روسي في صفوف داعش، وقد ذهب آلاف آخرون للانضمام لداعش من الدول السوفييتية السابقة الأخرى.انظر: لاولغا أفشينا، "انقسام مسلمي روسيا على ضوء الضربات الجوية السورية" أكتوبر ٢٠١٧م http://www. bbc. com/news/world-europe-34454391

(٣٦) تقرير منظمة العفو الدولية، "حالة حقوق الإنسان ٢٠١٥-٢٠١٦م" فبراير ٢٠١٦م https://www.amnesty.org/en/documents/pol10/2552/2016/en

(٣٧) ألميرا أحمدوفا، "روسيا: كتاب عن المسلمين في أوروبا: الجزء الثامن"، أكاديمية بريل للنشر: هولندا، ٢٠١٦م.

- ينبغي إعادة النظر في القانون الروسي المتعلق بالدين، من خلال أخذ الواقع الروسي بعين الاعتبار، بما أن السلطة الدينية الحالية تعارض مفاهيم الحرية الدينية المذكورة بالدستور الروسي ١٩٩٣ التي تنص بوجوب منح جميع الأديان حقوقاً متساوية في التعايش والممارسة في روسيا.
- يجب إعادة النظر في قانون التطرف ومواده الصادر في العام ٢٠٠٢م ومدى جدواه، حيث إن الضرر الواقع على الحرية الدينية للمواطنين الروس قد انبثق منه، وهذا أمر في غاية الأهمية لأن الحرب العالمية على الإرهاب قد أثبتت بطلانها وعقمها.
- يجب أن تخضع مسألة حظر المنشورات والمنظمات والمجتمعات الدينية لرقابة صارمة من الحكومة، تحت إشراف علماء محايدين غير متحيزين وخبراء دينيين مؤهلين.
- يجب إعادة تقييم النظام الاتحادي الخاص بتوفير الدعم المالي للإدارات المحلية والقوات الأمنية لمكافحة التطرف الديني، والذي يتيح للمسؤولين الفاسدين الحصول على منافع مالية تحت ذريعة مكافحة التطرف، وذلك عن طريق إضافة المزيد من إجراءات الشفافية والمساءلة.
- يجب أن تعترف السلطات المحلية بأن المسلمين الروس يعيشون في وطنهم الأم، وأن لهم كامل الحرية في التنقل من منطقة لأخرى، وأن وجودهم في البلاد ليس مؤقتاً؛ ولذلك يتعين على السلطات في تلك المناطق تقبل الأمر وإبداء المساواة العرقية والدينية على النحو المنشور في الدستور.
- يجب ترسيخ مفهوم التسامح والاحترام تجاه المسلمين وغيرهم من مواطني الدولة في قلوب المسلمين الروس، والقضاء على الانقسام العرقي الذي يفصل المسلمين عن مختلف المناطق والجنسيات؛ من أجل مزيد من التقبل والتفهم. كما يجب مكافحة كل الشبهات المبنية على أساس الجنسية والمظاهر الشخصية من قبل قادة المسلمين وأتباعهم.. وتقع على عاتق جميع القادة الروس – المسلمين وغيرهم – مسؤولية تعلم وتعليم التعايش في مجتمع متنوع، والسعي من أجل السلام والتوافق الاجتماعي الذي سيؤدي بطبيعة الحال إلى الوحدة والازدهار.

- يجب أن تعي السلطات المحلية والمركزية أنه لا يوجد تهديد ينبع من وحدة المسلمين وتوافقهم، بل سيؤدي ذلك إلى مزيد من الكفاءة والمساهمة في التنمية الاقتصادية والسياسية في روسيا.
- يجب وضع تعريف واضح لـ "الوهابية" وانتمائها للتطرف الديني، بوصفه وسيلة لتحقيق علاقات روسية - سعودية أفضل، وتحسين أمن المسلمين في روسيا. كما أن التعاون الاقتصادي والثقافي بين هاتين الدولتين قد يفيد رفاهية البلدين وأمنهما..
- باعتبارهم الأطراف المؤثرة في أسواق النفط العالمية؛ فإن المملكة العربية السعودية وروسيا الاتحادية يملكان القدرة على القيام بأدوار أكبر في الأمن الإقليمي والعالمي، ولتحقيق ذلك يجب مقاومة الثقة المتزعزعة بين البلدين، كما يجب على كلا الطرفين اتخاذ المزيد من الخطوات لأجل خلق الثقة والاحترام المتبادل بين الدولتين.

نبذة عن المؤلف

أليرا أحمدوفا هي باحثة تاتارية من روسيا وتعمل كاستاذ مساعد في قسم التاريخ والحضارة بجامعة الماليزية العالمية الاسلامية (IIUM) كما انها استاذة زائرة في جامعة جنوب استراليا. قبل الانضمام لل (IIUM). نالت شهادة الدكتوراة من جامعة (IIUM) في عام ٢٠١٤. وقد عملت كباحث في المعهد العالمي للدراسات الإسلامية العليا في ماليزيا، ودرست التاريخ الإسلامي في روسيا والتطورات السياسية الحالية، وقد الفت (الاسلام في روسيا: حقائق تاريخية والتطورات الحالية، ٢٠١٣) و(السياسة والإسلام في عصر القومية: الوحدة الإسلامية وإشكالية الخلافة في روسيا وتركيا، ٢٠١٧). وقد قدمت بحث عن الوحدة الإسلامية في روسيا في بدايات القرن العشرين. في ٢٠٠٥. انضمت الى مركز الدراسات الإسلامية (ISAM) في اسطانبول تركيا كباحث زائر لتعمل على مشروع بعنوان (موسى جاراالله: التاريخ، المعرفة، والتأثير)، بالإضافة الى ذلك قامت أحمدوفا بتأليف وتحرير وترجمة العديد من الكتب ذات الصلة بالإسلام و روسيا، والقضية الفلسطينية، وفكر الإسلام السياسي، والدبلوماسية في الإسلام، والقومية في العالم الإسلامي. كما انها ألفت عدد من المقالات وشاركت في كتابة عدد من فصول تنشر منذ سنة ٢٠٠٩ كتقارير سنوية لدار بريل للنشر عن مسلمي أوروبا.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

تأسّس المركز سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م لمواصلة الرسالة النبيلة للملك فيصل بن عبدالعزيز -رحمه الله- في نشر العلم والمعرفة بين المملكة وبقية دول العالم. ويعدُّ المركز منصةَ بحثٍ تجمع بين الباحثين والمؤسسات لحفظ العمل العلمي ونشره وإنتاجه، وإثراء الحياة الثقافية والفكرية في المملكة العربية السعودية، والعمل بوابةً وجسراً للتواصل شرقاً وغرباً. ويرأس مجلس إدارة المركز صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز، وأمينه العام هو الدكتور سعود بن صالح السرحان.

ويقدّم المركز تحليلات متعمّقة حول القضايا السياسية المعاصرة، والاقتصاد السياسي، والدراسات الأمنية، والدراسات السعودية، ودراسات شمال افريقيا والمغرب العربي، والدراسات الآسيوية. ويتعاون المركز مع مؤسسات البحث العلمي المرموقة في مختلف دول العالم، ويضمّ نخبةً من الباحثين المتميّزين، وله علاقة واسعة مع عددٍ من الباحثين المتخصّصين في مختلف المجالات البحثية. ويحتضن المركز مكتبة الملك فيصل، ومجموعة مخطوطات نادرة، ومتحفاً إسلامياً، وقاعة الملك فيصل التذكارية، وبرنامج الباحثين الزائرين. ويهدف المركز إلى توسيع نطاق المؤلَّفات والبحوث الحالية لتقديمها إلى صدارة المناقشات والاهتمامات العلمية، متّبعاً مساهمة المجتمعات الإسلامية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والفنون والآداب قديماً وحديثاً.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

P.O.Box 51049 Riyadh 11543 **Kingdom of Saudi Arabia**
Tel: (+966 11) 4652255 Ext: 8692 Fax: (+966 11) 4577611
E-mail: research@kfcris.com